العهد الجديد بحسب إرميا[1]

أ. أيوب شهوان

إنّ الأقوال النبويّة المثقلة أكثر من غيرها بالرجاء، في سفر إرميا، نجدها في الفصول ٣٠-٣٣ التي سُمّيّت "كتاب التعزية". من بين هذه الأقوال، هناك إر ٣١: ٣١-٣٤، الذي يُبشّر بعهد جديد، واضعًا إيّاهفي مقابل العهد الذي أبرمَ مع الآباء قبلا والذي ينقض في الوقت الحاضر. هكذا يظهر الرجاء بعهد موعد به على خلفيّة عهد قديم أصبح غير كافٍ لإقامة علاقة ثابتة بين الشعب وإلهه. تعبّر الآيتان الأوّلَيان في هذا النصّ باقتضاب عن هذا التعارض: "ها أنّها تأتي أيّام – يقول الربّ–" أقطع فيها مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، لا كالعهد الذي قطعته مع آبائهم، يوم أخذت بأيديهم لا خرجهم من أرض مصر؛ فهم قد نقضوا عهدي، ولكني أبقى سيّدًا عندهم، يقول الربّ" (إر ٣١: ٣١-٣٢).

١- العهد القديم

يرجع النصّ النبويّ إلى إختبار ماضٍ، هو إختبار العلاقة بين الله وشعبه، المعبّر عنه بكلمة "عهد" التي تَعني في آن معًا مبادرة الهية في التاريخ، والتزام الشعب بالمقابل. هذا اللاهوت موسّع بنوع خاصّ في سفر تثنية الاشتراع الذي، انطلاقًا من ظهور الله في جبل حوريب، ينظر إلى الله إنّه هو الذي أخذ المبادرة بجعل القبائل التي خرجت من مصر شعبًا. لذا، عندما يتكلّم الله، يقول "عهدي" (أر ٣١: ٣١. أمّا بالنسبة إلى الشعب الذي يختبر هذه العلاقة، فعليه أن يعترف بأنّ الله هو الذي يقوده. ويلتزم بالتالي بأن يكون شعبه؛ نتيجة هذه الالتزام وعلامته هما الأمانة لكلام الله، الذي نقله موسى إلى شعبه.

ولذلك تكمن مأساة شعب العهذ القديم في أنّه التزم بعلاقة حميمة مع الله، لكن الأمانة التي يوحبها هذا الخيار، هي خاضعة للامتحان باستمرار، ورباط العهذ معرّض دائمًا لخطر القطع. في مواخهة التقصير والنقض اللذين يشهد عليهما سفر تثنية الاشتراع، مركزًا على الماضي، يُدعى إسرائيل بدون كلل إلى الأمانة لله وشريعته: "ليست هذه الوصيّة

[1] **جريدة بيبليا ١٩**، شباط ١٩٩٣، ص ٣.

التي أنا آمرك بها اليوم فوق طاقتك ولا بعيدة عنك... الكلمة قريبة منك جدًّا؛ هي في فمك وفي قلبك لتعمل بها" (تث ٣٠: ١١، و١٤).

على طريقته، يكثّف سفر الخروج اختبارًا دينيًّا قريبًا من اختبار سفر تثنية الأشتراع. تلي إبرامَ العهد على جبل سيناء حيث أعطى الله شريعته (خر ١٩-٢٤) مرحلةٌ العجل المذّهب (خر ٣٢)، التي يؤدي إلى تحطيم لوحي الشريعة، علامة القطيعة بين الله وشعبه. لكن هناك تجديد للعهد مدوّن كأمر ضروريّ (خر ٣٤) يترجم رحمة الله. مع هذا فإنّ العلاقة بين الفريقَين تخترقها القطيعة، والعقاب، وتجديد العهد. لكن هل يستطيع إسرائيل أن يكتفي وبالتالي مستقرة؟ في هذا الإطار ينبغي وضع تبشير النبيّ إرميا.

٢- العهد الجديد

يستهل نصّ إر ٣١: ٣١ إذًا بتأكيد من الله، بأنّه سيُبرم عهدًا جديدًا مع بيت إسرائيل وبيت يهوذا.

بعد التنديد بفسخ العهد، تبدأ في آ ٣٣ سلسلة تحديدات متعلّقة بجدّة العهد الموعود. يقول التأكيد الأوّل النبويّ: "إجعل شريعتي في بواطنهم، واكتبها على قلوبهم" (إر ٣١: ٣١). لا تُلغى الشريعة كتعبير عن إرادة الله في إطار العهد ولا تحوَّر؛ لكن، في حين أنّها كانت مكتوبة على الحجر في العهد القديم (خر ٣٤: ١)، هي بعد الآن مكتوبة بيد الله على قلب الإنسان. هذا ما ينبغي ترجمته بتغيّر أساسيّ في المسلك؛ فالشريعة المندمجة بصميم المؤمن، تفرض ذاتها بذاتها. يذهب الكلام النبويّ إذًا أبعد بكثير من تثنية الاشتراع الذي كان يهدف هو أيضًا إلى الاستبطان، لكن بفضل تتميم سخيّ للوصايا (تث ٦: ٦؛ ١١: ١٨؛ ٣٠: ١٠-١٤). الفرق شاسع بين الأثنين، لأنّ الشريعة لم تعُد خارجيّة عن الإنسان. إنّ عبارة الآية ٣٣ هي فريدة في البيبليا لأن نصّ إر ٣٢: ٤٠: "أجعل مخافتي في قلوبهم" هو مختلف بعض الشيء، لأنّ الله يهب شعورًا يثير الأمانة للعهد. تنتهي آ ٣٣ باستعادة صيغة الانتماء التبادَل: "أكون الههم وهم يكونون شعبي"، وهي صيغة ستُثبَت بالتمام في إطار العهد الجديد، كما سترد بشكل أو بآخر في أماكن أخرى من سفر إرميا (٧: ٢٣؛ ٢٤: ٧؛ ٣٠: ٢٢؛ ٣٠: ١؛ ٣٢: ٣٨).

تبرز الآية ٣٤ نتيجة عمل الله: "ولا يُعلّم بعدُ الواحدُ الآخَرَ قائلاً: "إعرف الربّ"، لأنّهم جميعًا سيعرفونني، من ضغيرهم إلى كبيرهم". يذكر إرميا غالبًا معرفة الله هذه المعطاة إلى الجميع، دون معلّمين، والتي ليست محض عقليّة، وكأنها عطية جوهريّة (إر ٢: ٨؛ ٢٢: ١٦)، وكان هذا هو الحال عند هوشع النبيّ: "وأقطع لهم عهدًا، في ذلكاليوم،

مع وحوش البرّيّة وطيور السماء وأكسر القوس والسيف والحرب من الأرض وأريحهم في أمان" (هو ٢: ٢٠؛ رج أيضًا ٤: ١؛ ٦: ٦).

وتختم النبوءة أخيرًا بالتبشير بمغفرة الخطايا: "لأني سأغفر أثمهم، ولن أذكر خطيئتهم من بعد" (٣١: ٣٤). من ناحية الإنسان، علامةُ موهبة المغفرة الإلهيّة هي بالضبط عطاء العهد الجديد. من ناحية الله، تُفترض المغفرة مسبقًا من خلالمجمل المسعى الإلهيّ لصالح شعبه. لا يمكن أن ننسى، بالنسبة إلى النبيّ، أنّ خطيئة الشعب غير قابلة للشفاء (إر ٣٠: ١٢). ينبغي إذًا أن يتدخّل الله لصالح مَن هو غير قادر أن يقوم بالخطوة الأولى.

٣- جديد إرميا:

هذه النبوءة، عندإرميا، فريدة بصياغتها وبمضمونها، جريئة في وصفها لعمل الله، مع هذا فإنّ هناك محاولة لتحويل لاهوت النصّ إلى لاهوت تثنية الاشتراع، لكن كلّ شيء يفصل إر ٣١: ٣١-٣٤ عن هذا التيار الأخير.

فأوّلاً، يفترض العهد الجديد مسبقًا المغفرة من الله، وهو علامته، في حين أن مغفرة الله مرتبطة بتوبة الشعب في نصوص تثنية الاشتراع (تث ٢٩: ١٨-١٩؛ ١ مل ٨: ٣٥-٣٦).

من ناحية ثانية، تتناول النبوءة المستقبل وتبشّر بعمل الله، في حين أن تثنية الاشتراع والكتب التي تستوحيه تهتمّ أكثر بالتأمل من ماضيّ إسرائيل. نحن هنا لأمام هذا الفرق في الذهنيّة الدينيّة التي تفصل موقف النبيّ عن موقف الحكيم؛ ففي حين أنّ الحكيم يرتكز على الاختبار الماضيّ، لا يتردّد النبيّ في الاعلان عن مسلك جديد لله، وكأنّه قد تمكّن من سبر أسراره، يقوده بذلك الروح القدس.

أخيرًا، لا تكتفي النبوءة بالتذكير، كما يفعل تثنية الاشتراع، بوجوب طاعة الشريعة، بل تبيّن أنّ هذه الطاعة تصبح ممكنة بفضل عمل الله المباشر في قلب الإنسان، وتذهب إلى حدّ القول بأنّ كلّ واحد ستكون في ذاتها معرفة الله، بدلاً من اقتراح البلوغ إليه بوسائل تبقى خارجيّة، كقراءة الشريعة (تث ١٧: ١٨)، أو تلاوة الكاهن لها (تث ٣١: ٩).

تُحقق نبوءة إرميا قفزة نوعيّة، لأنّ المقصود ليس إستبدال الشريعة، بل إعطاء الوسائل لطاعتها. لا شيء يسمح إذًا بتحويل هذا المقطع إلى لاهوت تثنيّة الاشتراع.

٤-دور القلب والمعرفة في العهد الجديد:

القلب الذي عليه يريد الله أن يكتب شريعته هو مركز القرار والحكم؛ وبما أنّ قلب الشعب لا يلعب الدولر الذي يجب أن يلعبه، لا يرى الشعب ولا يسمع؛ فبدون التفكير، يصعب على الحواس التقاط ما هو جوهريّ، أي الله وإرادته، وتؤخذ بالمظاهر. لأجل هذا، يمتلك الشعب قلبًا عاصيًّا (٥: ٢٣)، لا يدري أي طريق يتبع. لأنّه لا يفكّر، لا يعرف أنّ الله هو الذي يعطي المطر في وقته ويؤمّن آخر الأمر الحصاد. هذا التفكير، يُلزم النبيّ بالقيام به مكان الشعب: "لم يقوموا في قلبهم: لنَخَف الربّ إلهنا الذي يهب المطر... ويؤمّن لنا أسابيع ثابتة للحصاد" (٥: ٢٣).

يبدو مسلك الإنسان تجاه الله مُبْهمًا بالنسبة إلى النبيّ. فالحيوانات، أفضل من الإنسان. تعرف ما وضعه الله لها. على خلاف الحيوانات، لا يملك الشعب هذه المعرفة العمليّة التي ينبغي أن تقود حياتَه أمام الله. على العكس، (إر ٨: ٧) تَعدُ النبوءة بأنّ الجميع سيعرفون الله، "من الأصغر حتّى الأكبر"، وفق تعبير نصادفه في إر ٦: ١٣: "لأنّهم من صغيرهم إلى كبيرهم يَطمعون جميعًا في المكاسب، من النبيّ حتّى الكاهن يأتونَ الكذب جميعًا".

تبدو خطيئة الشعب بالنسبة إلى إرميا وكأنّها ملتصقة بجلده، لا شيء يمكنه أن يمحوها. لا يتردّد النبيّ وهو يتكلّم إلى أورشليم في الاعلان: "هل يستطيع أسودُ البشرة أنيغيّر لونَ جلدِه، أو نَمرة فَرْوَتَها؟ أيمكنكم أن تتصرّفوا حسنًا أنتم المعتادين على الشرّ؟" (إر ١٣: ٢٣). الجواب على السؤال المطروح هو: الله وحده قادر على أن يعيد بناء شعبه كي يصبح أمينًا.